باب الاستفهام
من كتاب السيوطي الاتقان في علوم القرءان

قال السيوطي في كتاب الاتقان في علوم القرءان :

من أقسامِ الإنشاءِ الاستفهامُ وهو طَلَبُ الفَهْمِ وهو بمعنى الاستخبارِ وقيل الاستخبارُ ما سَبَقَ أَوَّلًا ولم يُفْهَمْ حَقَّ الفَهْمِ فإذا سَأَلتَ عنه ثانيا كان استفهامًا حكاه ابن فارس في (فقه اللغة).

وأدواته : الهمزة وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان ومرت في الأدوات وقال ابن مالك في المصباح وما عدا الهمزةَ نائبٌ عنها.

ولكونه طلبَ ارتسامِ صورةِ ما في الخارجِ في الذهنِ لَزِمَ ألا يكونَ حقيقةً إلا إذا صَدَرَ من شاكٍّ مُصدِّقٍ بإمكانِ الإعلامِ، فإن غيرَ الشاكِّ إذا اسْتَفْهَمَ يلزَمُ منه تحصيلُ الحاصلِ وإذا لم يصدقْ بإمكانِ الإعلامِ انتفتْ عنه فائدةُ الاستفهام.

قال بعض الأئمة وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطَبَ عِنْدَهُ عِلْمُ ذلكَ الإثباتِ أو النَّفْيِ حاصلٌ.

وقد تُسْتَعْمَلُ صيغة الاستفهام في غيره مجازا وألَّفَ في ذلك العلامة شَمْسُ الدين بنُ الصائغ كتابا سماه (روض الأفهام في أقسام الاستفهام) قال فيه قد توسَّعَتِ العربُ فأخرجت الاستفهامَ عن حقيقته لمعانٍ وأَشْرَبَتْهُ تلك المعاني ولا يختص التجوُّزُ في ذلك بالهمزة خلافا للصفّار. اهـ

ونذكر فيما يلي مثالا واحدا عن كل نوع من أنواع الاستفهام المجازي مما ذكره السيوطي في الإتقان مع ذكر مرجع آخر أو أكثر من كتب التفسير أو الحديث أو اللغة في تفسير الآية التي ذكرها السيوطي.

	النوع	المثال	المعنى
١	الإنكار	﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ ﴾	قال فخر الدين الرازي في التفسير الكبير: وهذا استفهام على سبيل الإنكار يعني أنهم لم يشهدوا خلقهم.
٢	التوبيخ	﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾	قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط : استفهام توبيخ وإنكار عليهم، كيف هم

			يعبدون صورًا صوّروها بأيديهم وشكلوها على ما يريدون من الأشكال؟
٣	التقرير	﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾	ذكر أبو حيان هذه الآية في شرح سورة البقرة في البحر المحيط مثالا عن استفهام التقرير وقال النسفي في مدارك التفسير وحقائق التأويل في شرح هذه الآية : استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك.
٤	التعجب أو التعجيب	﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾	ذكر في حاشية القونوي على تفسير البيضاوي وفي حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك أن الاستفهام في هذه الآية للتعجب
٥	العتاب	﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾	في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين.
٦	التذكير	﴿ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾	قال القرطبي في الجامع لأحكام القرءان: استفهام بمعنى التذكير والتوبيخ
٧	الافتخار	﴿ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ ﴾	ذكر الرازي في تفسير سورة مريم أن هذا افتخار
٨	التفجع	﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾	ذكر ابن فارس في الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها أن اللفظ يكون استخبارا والمعنى تفجع ومثّل بهذه الآية
٩	التهويل والتخويف	﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ ﴾	ذكره البيضاوي في تفسير سورة الحاقة
١٠	التسهيل والتخفيف	﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ ﴾	ذكره القونوي في حاشيته على تفسير البيضاوي

١١	التهديد والوعيد	﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	ذكره القونوي في حاشيته على تفسير البيضاوي
١٢	التكثير	﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾	قال القرطبي في الجامع لأحكام القرءان عند هذه الآية: كم للتكثير
١٣	التسوية	﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ ﴾	ذكره الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن
١٤	الأمر	﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾	ذكره أبو حيان في البحر المحيط
١٥	التنبيه	﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴾	ذكره القزويني في تلخيص المفتاح
١٦	الترغيب	﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم ﴾	ذكره الماوردي في النكت والعيون.
١٧	النهي	﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾	قال السيوطي في الإتقان أي لا تغتر به.
١٨	الدعاء	﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾	ذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرءان أن معناه الدعاء والطلب أي لا تهلكنا.
١٩	الاسترشاد	﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾	قال الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك فكأنهم قالوا "يا رب خبرنا" مسألة استخبار منهم لله.
٢٠	التمني	﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ ﴾	قال القرطبي في تفسيره استفهام فيه معنى التمني.
٢١	الاستبطاء	﴿ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ ﴾	قال القونوي في حاشيته على تفسير البيضاوي عن هذه الآية: متى للاستفهام ولم يمكن حمله على الحقيقة فحمل على المجاز وهو الاستبطاء ومآله الاستدعاء
٢٢	العرض	﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾	ذكره في حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب
٢٣	التحضيض	﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾	قال القرطبي : توبيخ وفيه معنى التحضيض وقال أبو حيان في البحر المحيط: ألا حرف عرض ، ومعناه هنا الحض

٢٤	التجاهل	﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ ﴾	قال أبو حيان في البحر المحيط : أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم، وهذا الإنكار هو ناشئ عن حسد عظيم انطوت عليه صدورهم فنطقت به ألسنتهم.
٢٥	التعظيم	﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾	قال أبو حيان في البحر المحيط : وفي هذه الآية أعظم دليل على ملكوت الله، وعظم كبريائه، بحيث لا يمكن أن يقدم أحد على الشفاعة عنده إلاَّ بإذن منه تعالى.
٢٦	التحقير	﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾	ذكر البيضاوي في تفسيره أن الإشارة بكلمة هذا للاستحقار
٢٧	الاكتفاء	﴿ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾	قال الطبري في تفسير هذه الآية : أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده والانتهاء إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه.
٢٨	الاستبعاد	﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾	قال أبو حيان في البحر المحيط : أي منفعة الذكرى، لأنه وقت لا ينفع فيه التذكر، لو اتعظ في الدنيا لنفعه ذلك في الأخرى.
٢٩	الإيناس	﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ ﴾	ذكره النسفي في تفسيره.
٣٠	التهكم والاستهزاء	﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ ﴾	ذكره الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
٣١	التأكيد لما سبق من معنى الاستفهام	﴿ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩ ﴾	ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرءان.
٣٢	الإخبار	﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ ﴾	ذكر فخر الدين الرازي في التفسير الكبير في تفسير هذه الآية: اللفظ استفهام ومعناه الخبر كما قال جرير:

			ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

ومن الأمثلة على الاستفهام المجازي قول إبراهيم لقومه "ما تعبدون" ؟ قال اللهُ تعالى فى سورة الشّعراءِ ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ فإنَّ إبراهيمَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ لم يَسأل قومَه ما سَألهم ليُجيبوهُ أنهم كفّارٌ يعبدونَ الأصنامَ إنما سألهم عَن ماهيّةِ مَعبوداتهم ليُظهرَ فسادَ عبادَتهم لها أى أنهُ سألهم أليسَ ما تعبدونهُ حجارةً وخشبًا ومَعادنَ قَد صَوَّرْتُمُوهَا بأيديكُم ونقَشْتُموها أنتُم وأثّرْتُم فيها فكيفَ تَعبدونها؟ ثم هم لتكبُّرهم أىْ لأنهم لم يُريدُوا الانكسارَ للحقِّ والإقرارَ به أجَابوا بأوسعَ مما سألَ عنهُ أىْ فأجابُوا عَمَّا لم يستعلم عنه كمَا قالَ المفسّرونَ. وهذا الذى بيناه تدل عليه الآياتُ الأخرى الواردةُ فى كتابِ اللهِ تعالى إخبارًا عَن هذهِ القِصَّةِ كقولهِ تَعالى في سورة الأنبياء إخبارًا عن إبراهيم عليهِ السّلامُ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ فهذه الآية تدلُّ على المرادِ من قولهِ فِي الآيةِ الأخرى ﴿ما تعبُدُون﴾ وأنه لم يُرِدْ بها الاستعلامَ عن معبوداتهم إذْ لا يستقيمُ أنْ يسألهم ما هذه التماثيلُ والصُّوَرُ التِي تعبدونها لأجلِ أنْ يُجيبُوهُ هذه صُوَرٌ ومنحوتاتٌ نعبُدُها فيكونُ معنَى كلامِهِ هذه الصورُ التِي تعبدونها هل هى صورٌ تعبدونها ويكونُ كمن قال لآخَرَ هذا الحصانُ الذِى تركبُه هل هو حصانٌ تركبُهُ وإنما أراد عليه السلامُ تبكيتَهُمْ وتقريعَهم وتقريرَ الحقِّ لهم وتحريكَهُم ليقبلوه. فإبراهيم عليه السلام قال ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ ليذُمَّهُم على عبادَتهم لها فإن المعبود يُعْبَدُ لفعلٍ يكونُ منهُ إلى مَن يعبدهُ أمّا أنْ يَعبُدَ الشّخصُ ما يَفْعَلُهُ هوَ فلا يُحتملُ أي لا يُقبل كما قالهُ الماتريدىُّ فى تفسيرِه. قالَ رحمهُ اللهُ وهوَ ما قالَ إبراهيمُ ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ يُسفّههُم ويعيبُ عليهِم عبادَتهم ما يَنحِتونَهُ هم بأيدِيهم ويتركونَ عبادةَ مَن خلقَهم وخلقَ أعمالهم اه ثم بَيَّنَ الماتريدىُّ رحمهُ اللهُ بعدَ هذا أنَّ هذينِ السّؤالينِ معَ قولهِ عليهِ السّلامُ ماذا تعبدونَ هىَ ألفاظٌ مختلفةٌ لمعنًى واحدٍ اه وهوَ المعنى المُصَرَّحُ بهِ فى قولهِ تعالى فى سورةِ الصّافاتِ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ فإنهُ نصٌّ ظاهرٌ جليٌّ فى أنَّ سؤالَ سيّدنا إبراهيمَ لم يكن لأجل أن يجيبه قومه بجوابٍ كفرٍ وإنما كانَ إنكارًا عليهِم وإظهارًا لفسادِ دينهِم وعبادَتهم. وسوف نذكر نقولا من كتب التفاسير عن معاني الآيات التي تذكر هذه القصة لبيان أن سؤال إبراهيم لم يكن للاستعلام.

ولا يُستنكرُ مثلُ هذا الأُسلوبِ فى الكلامِ عندَ أهلِ المعرفةِ فإنَّ علماءَ اللغةِ جعَلوا للاستفهامِ معانِيَ كثيرةً منهَا الإنكارُ والتقريرُ والتوبيخُ والتعجُّبُ أو التعجيبُ والعتابُ والتّهويلُ والتّخويفُ والتّهديدُ والوعيدُ والتّنبيهُ والنَّهْيُ والتّحقيرُ والاستبعادُ والتّهكّمُ والاستهزاءُ وغيرُ ذلكَ ولِهذا قالَ ابنُ عطيّةَ فى تَفسيرِه (استِفهامٌ بمعنى تقريرٍ) اه أىْ إنهُ كانَ يَعْلَمُ ما يعبدونَ وإنما سألَ لتقريرِ الحُجَّةِ. وقالَ أبو حيّانَ فى البحرِ المحيطِ (استِفهامٌ

بمعنى التّحقيرِ والتّقريرِ) اه والمرادُ بالتقريرِ عندَ أهلِ البلاغةِ هو الإثباتُ والتوكيد لا طلب الجواب وقالَ البَيضاويُّ فى تفسيرِهِ (سألهم ليُرِيَهُمْ أنَّ ما يعبدونهُ لا يستحق العبادة) اه وقالَ القُونويُّ فى حاشيتهِ على تفسيرِ البَيضاويّ (وحاصلهُ أنَّ الاستفهامَ هُنا للإنكارِ لا للاستعلامِ) اه وقالَ الإيجيُّ الشّافعيُّ فى تفسيرِهِ المسمّى جامعَ البيانِ ما نصُّهُ (أنكرَ عليهِم عبادةَ الأصنامِ) اه وقالَ البَغويُّ فى تفسيرِهِ (استفهامُ توبيخٍ) اه وفى حاشيةِ محيي الدّينِ شيخ زادَه على تفسيرِ البيضاويّ قالَ (استفهامُ توبيخٍ وتقريعٍ على تلكَ الطّريقةِ) اه وقالَ الرّازيُّ (فقالَ لهم ما تعبدونَ وكانَ إبراهيمُ عليهِ السّلامُ يعلمُ أنهم عبدةُ أصنامٍ ولكنّهُ سألهم ليُرِيَهُمْ أنَّ ما يعبدونَهُ ليسَ مِنِ استحقاقِ العبادةِ فى شىءٍ) اه وقالهُ النّسفيُّ فى تفسيرِهِ المعروفِ اه فلا تدل هذه القصة على جواز سؤال الكافر عن دينه ليجيب بالكفر.